

آدم عليهما السلام

آدم عليه السلام

آدم هو أبونا وأبو الخلق جميعهم، وهو أول مخلوق إنساني خلقه الله سبحانه، وهو أول الجنس البشري، ومنه ومن زوجه خلق الله بنيه الذين عمّروا الأرض من بعده، وهو نبي قد اصطفاه الله واجتباها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

خلق الله آدم بيده:

تبدأ قصة خلق آدم عليه السلام عندما جمع الله سبحانه وتعالى الملائكة وأخبرهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة هو آدم وذريته، وأنه سيمكنهم في الأرض؛ فقالت الملائكة سائلين - على وجه الاستعلام لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم -: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فردّ الله سبحانه عليهم وقال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ لأنه سيكون منهم الأنبياء والمرسلون والصدّيقون والشهداء.

وهنا خلق الله سبحانه وتعالى آدم بيده مباشرة، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢]، أخذ الله سبحانه من تراب الأرض قبضة فخلق منها آدم، ثم بلّها الله تعالى بالماء

فصارت صلصالاً (طين متحجّر)، وصوّره وجعل طوله ستين ذراعاً، كما أخبرنا رسول الله ﷺ حيث قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريّتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما نُفِخ في آدم الروح مارت وطار، فصارت في رأسه، فعطس فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال الله: يرحمك الله»^(٤).

ولهذا قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «إن الله لم يخلق بيده

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٣٢٦)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٨٤١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٧٨٩)، والنسائي في «سننه»: (١١٠١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٥٠٤)، ومسلم في «صحيحه»: (٨٥٤).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٢٦٣/٤)، وابن حبان في «الموارد»: (٢٠٨١).

إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده».

سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس:

بعد أن خلق الله سبحانه آدم ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة بتكريم آدم بأن يسجدوا له سجود تكريم لا سجود عبادة؛ لأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله سبحانه، وهنا استجاب الملائكة إلى أمر الله، باستثناء إبليس الذي أبى أن يسجد استكباراً وحسداً، ولقد سأله الله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

احتج إبليس بأنه أفضل من آدم، فهو قد خلق من نار، بينما آدم خلق من طين، والنار في رأيه أفضل من الطين، وهنا تكبر ولم يستجب لأمر الله؛ فطرده الله من الجنة، ولعنه إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [٧٢] إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَذَابَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ [ص: ٧٣-٧٨].

آدم عليه السلام معلم الملائكة:

من فضل الله سبحانه وتعالى على آدم عليه السلام أن علّمه الأسماء كلها الموجودة في جنة عدن، وألهمه القدرة على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك من زروع وأشجار وثمار وحيوان، ثم أراد الله بعد

ذلك أن يبين للملائكة أن هذا المخلوق خير منهم؛ فعرض هذه المسميات على الملائكة، وقال لهم: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، فعجزت الملائكة ﷺ عن معرفة هذه المسميات، وقالوا: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

فقال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ ففعل آدم ﷺ، وعلم الأسماء كلها للملائكة، وهنا قال الله للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

وبهذا أثبت الله سبحانه وتعالى للملائكة أن هذا المخلوق الجديد الذي صغروا من شأنه هو أكثر مهم علماً وأوسع معرفة.

حواء ﷺ كيف خلقت؟

لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم ﷺ ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير، فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها: من أنت؟

قالت: امرأة.

قال آدم: لماذا خلقت؟

قالت: لتسكن إلي... فمال إليها وألفها؛ لأنها خلقت منه^(١).

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خُلِقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج»^(١).

وقد أخذ أحد الشعراء هذا المعنى فصاغه شعراً فقال:

هي الضلعُ العوجاء لست تقيمها

ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى

أليس عجباً ضعفها واقتدارها؟

خُلِقَتْ حواءَ ﷺ قبل دخول آدم الجنة؛ لقول الله تعالى:

﴿وَبَنَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وسميت حواء؛ لأنها خُلِقَتْ من حي.

آدم وحواء في الجنة:

أمر الله تعالى آدم ﷺ أن يسكن هو وزوجته الجنة، وأباح لهما

كل شيء في الجنة إلا شجرة عينها لهما، وقال له ولزوجته: إن

الشیطان عدو لكما فاحذراه، فلا يخرجكما من الجنة، وفي هذا يقول

الله تعالى: ﴿يَنَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ

فَتَشَقَّقَنَّ﴾ [طه: ١١٧]، وقال الله لآدم في تمتيعه بهذه الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥١٨٥).

أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ .

إغواء إبليس لآدم:

عاش آدم وحواء في الجنة ينعمان بنعيمها ويأكلان من ثمرها، ولكن ماذا فعل الشيطان؟

جاء إبليس اللعين إلى آدم وحواء ووسوس لهما بالأكل من الشجرة لإغرائهما، وقال لهما: إن ربكما نهاكما عن الأكل من هذه الشجرة حتى لا تكونا من الملائكة أو تكونا خالدين، وقال لآدم: ﴿يَتَّخِذُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ﴾ ﴿١٢٠﴾ [طه: ١٢٠] أي: هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، وظللت في ملك لا يبيد ولا ينقضي؟

وهنا نسي آدم وحواء أن إبليس هو عدوهما، واستجابا لإغرائه، وأكلا من الشجرة، فلمَّا ذاقا طعمها؛ انكشفت لهما عوراتهما، (وكان قبل ذلك لا يرى كل منهما عورته ولا عورة الآخر)، فأخذا يجمعان بعض أوراق الشجر ليغطيا به ما انكشف، وجعلا ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر، وناداهما ربهما مؤنباً إياهما على ذنبيهما، فقال: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الاعراف: ٢٢] .

وشعر آدم وحواء بذنبيهما ومعصيتهما لله سبحانه؛ فندما أشد الندم، ورجعا إلى ربهما تائبين ناديين، وقالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَقْوَرٌ لَّنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الاعراف: ٢٣] ^(١) .

(١) «قصص الأنبياء»، الحافظ ابن كثير. (بتصرف).

فأوقع الله في قلوبهما التوبة التامة والإنبابة الصادقة ﴿فَلَقَّيْنَاهُمَا مِنْ رَبِّهِمْ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٣٧].

فتقبل الله دعاءهما وتوبتهما؛ فتاب عليهما وغفر لهما.

إخراج آدم وحواء عليهما السلام من الجنة:

أخبر الله سبحانه آدم عليه السلام أنه سيكون بينه وبين إبليس عداوة لا تنتهي، وأنهم سيقون في الأرض يعمرونها ويتمتعون فيها تمتعاً مؤقتاً إلى حين انتهاء آجالهم، ومن الأرض يخرجهم الله أحياء يوم القيامة للحساب والجزاء، فقال تعالى: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤].

كما أخبره الله سبحانه أنه سيمدهم بالهدى والرشاد، فمن تبع هدى الله فقد نال سعادة الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وقد اقتضت حكمة الله أن يأكل آدم من الشجرة، والله يعلم أنه أكل منها لا محالة؛ لأنه لابد وأن يسكن الأرض ويعمرها هو وذريته من بعده، ويجعل الله فيهم خيراً كثيراً، وعباداً صالحين وأنبياء ومرسلين.

حكمة آدم عليه السلام:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«قال موسى عليه السلام: يا رب، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة. فأراه آدم عليه السلام.

فقال موسى: أنت آدم؟

فقال آدم: نعم.

فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك الأسماء كلها؟

قال: نعم.

قال موسى: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟

فقال له آدم: مَنْ أنت؟

فقال: أنا موسى.

قال آدم: أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ أنت الذي كلّمك الله من وراء الحجاب، فلم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟

قال: نعم.

قال آدم: تلومني على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل؟!

قال رسول الله ﷺ: «فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى»^(١).

قاييل وهابيل:

وضعت حواء توأمين: قاييل وأخته، وهابيل وأخته، وقد كانت أخت قاييل أجمل من أخت هابيل، وعندما بلغ مبلغاً من العمر لم يجدوا من يختارون للزواج، وهنا صدر الأمر الإلهي بأن يتزوج أنثى البطن اللاحق من ذكر البطن السابق، فلا يحل للأخ أخذ أخته التي ولدت معه من بطن واحدة، وبذلك أصبحت أخت قاييل زوجة لهابيل، وبالعكس، فإن أخت هابيل أصبحت زوجة لقاييل.

(١) أخرجه أبوداود في «سننه»: (٤٧٠٢)، وأبويعلى في «المسند»: (٢٤٣).

وطلب آدم عليه السلام أولاده وأبلغهم الأمر، لكن قابيل لم يستجب لهذا الأمر، ولم ينزل على إرادة أبيه؛ لأن نصيبه أقل جمالاً من نصيب أخيه، وود لو تكون توأمة من نصيبه دون أخيه.

وهنا أمر آدم أولاده بأن يُخْضِرَ كل واحد منهما شيئاً عزيزاً من كده يقرّبه قرباناً ويضعه في مكان مرتفع لنرى أيكما يُقْبَلُ قربانه فسيحظى بالجميلة من البنات، وكان هابيل صاحب غنم، فأتى بأفضل كباشه، وكان قابيل فلاحاً فأتى بكمية رديئة من القمح، ثم تقدم كل منهما بقربانه إلى الله، وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه.

فنزلت النار على كبش هابيل فأحرقته، وتركت قربان قابيل.

فعلم قابيل أن الله قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقتله.

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴿٢٨﴾ إِنَّكَ إِنِ إِذًا خَافَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ لَئِنْ أَرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَفَكُونْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

ولقد كان هابيل أول من قُتِلَ على ظهر الأرض، وما عرف قابيل كيف يوارى جثة أخيه، فحمله في جراب على ظهره، وظل حائراً، وقد لامته نفسه على فعلته، فبات معذباً.

وبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره، ووارى جثته تحت التراب، هنا استشعر قابيل الندم والحسرة

فقال: ﴿يَتَوَلَّيْ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]، ثم هرب إلى اليمن، وحزن آدم على هابيل، فمكث مائة سنة لا يضحك^(١).

قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول (قابيل) كفيل من دمها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل»^(٢).

وصية آدم عليه السلام قبل موته:

لمَّا حضرت الوفاة آدم عليه السلام دعا ولده شيث وقال: يا بني، إني مفارق هذه الدار، فانظر يا بني أن لا تفارق العروة الوثقى وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، سيد الأولين والآخرين والأنبياء والمرسلين، فإني رأيت ذلك مكتوباً على سرادق العرش وأبواب الجنة وأطباق السموات والأرض.

واعلم يا بني أن الله تعالى قابض روعي في الساعة التي خلقتني فيها وهي أفضل ساعة في يوم الجمعة، فإذا كان ذلك الوقت فاخرج من القبلة ساعة واحدة واسمع تعزية الملائكة، فتفر يا بني بتعزية الملائكة.

واعلم يا بني أن الله سبحانه وتعالى يبعث لي أكفاناً من الجنة وحنوطاً، ويتولى أمري جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام.

(١) «قصص الأنبياء»، الشعراوي. (بتصرف).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٣٣٥)، ومسلم في «صحيحه»: (١٦٧٧).

فانظر يا بني كيف يغسلني، فتعلم منه؛ فيكون سُنَّة لك ولأولادك من بعدك، وتصلي عليَّ الملائكة المقربون زمرة بعد زمرة، فإذا فرغوا من الصلاة فصلَّ أنت وتعمد قبري فألقي عليَّ السلام، ثم نزع خاتمه من إصبعه فدفعه إليه^(١).

وفاة آدم عليه السلام :

قال أبي بن كعب - رضي الله عنه - : «إن آدم لمَّا حضره الموت، قال لبنيه: أي بني، إني أشتهي من ثمار الجنة»، فذهبوا يطلبون له ما يشتهي، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم أدوات الدفن (المساحي والفؤوس والمكاتل).

فقالوا لهم: يا بني آدم، ما تريدون، وما تطلبون؟

قالوا: أبونا آدم مريض، واشتهى من ثمار الجنة.

فقالوا لهم: ارجعوا، فقد قضى أبوكم.

فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم.

فقال آدم: إليك عني، فإني إنَّما أتيت من قبلك، فخلي بيني وبين ملائكة ربي - عز وجل -.

فقبضوه وغسلوه وكفَّنوه، وحنَّطوه، وحفروا له، ولحَّدوه، وصلَّوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه في قبره، ثم حثوا عليه التراب.

(١) «قصص وموالد الأنبياء»، الإمام الكسائي.

ثم قالوا: يا بني آدم، هذه سَنَّتكم في موتاكم، وهذا سبيلكم^(١).
 واختلف العلماء في موضع دفنه، ولكن القول المشهور أنه
 ﷺ دفن في جبل أبي قبيس بمكة المكرمة، وتوفيت حواء بعد سنة
 من وفاته ودفنت إلى جانبه، وبعد طوفان نوح نقل قبر آدم بيت
 المقدس.
 رحم الله آدم وحواء. ﷺ وأسكنهما جنات النعيم.



(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٣٤٤/١)، والطبراني في «الأوسط»: (٨٢٦١).